

عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » حديثٌ حَسَنٌ ، وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح ، عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه قال : جماع آداب (١) الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث : قول النَّبِيِّ ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » ، وقوله ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » ، وقوله ﷺ : « الْمُؤْمِنُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ » ومعنى هذا الحديث : أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه من قول وفعل ، ومعنى يعنيه : أن تتعلق عنايته به ، يقال : عناه يعنيه : إذا اهتم به وطلبه ، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس ، يقتضي فعل الواجبات كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام إن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات ، وهو أن يَعْبُدَ الله تعالى كأنه يراه ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيِي مِنْهُ ، كما وى رجلاً أن يستحيي من الله كما يستحيي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه فقد استحيا من الله حق الحياء « عليك وخف الله على قدر قدرته وقال بعض العارفين : إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك ، وإذا سكت فاذكر نظره إليك وقد وقعت الإشارة في القرآن العظيم إلى هذا المعنى في مواضع كثيرة (٣) : كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدًا مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٦ - ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ . وأكثر ما يُراد بترك ما لا يعنى حفظ اللسان من لغو الكلام كما أشير إلى ذلك في الآيات الأولى التي هي في سورة (ق) . وفي « المسند » من حديث الحسين ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « إِنْ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ قَلَّةٌ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ » وخرج الخرائطي من حديث ابن مسعود قال : أتى النبي ﷺ رجل ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « كان في صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات : ساعة يُناجي فيها ربّه ، أو لذة في غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه » وهو كما قال : فإن كثيراً من الناس لا يعد كلامه من عمله ، وقد خفي هذا على معاذ بن جبل حتى سأل عنه النَّبِيُّ ﷺ فقال : أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ قال : « تُكَلِّمُكَ أَمَكْ يَا مَعَاذُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَقَدْ تَعْجَبُ قَوْمٌ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فَقَالَ سَفِيَانٌ : وَمَا تَعْجَبُكُمْ مِنْ هَذَا ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ تُجَاهِلُونَ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ » أَلَيْسَ قَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا » . وخرج الترمذي من حديث أنس قال : تُوْفِّي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - يَعْنِي : النَّبِيُّ ﷺ . فقال - يعني : رجل : أبشر بالجنة ، فقال رسول الله ﷺ : أو لا تدري ، وقد روي معنى هذا الحديث من وجوه متعددة عن النبي ﷺ ، وفي بعضها : أنه قتل شهيداً وخرج أبو القاسم البغوي في (معجمه) من حديث شهاب بن مالك ، وكان وقد على النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْلَمُ عَلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « إِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ يُقَلِّلَنَّ الْكَثِيرِ ، وَسؤالها عما لا يعنيه » وخرج العقيلي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : (أكثر الناس ذنباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه) قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعينني وكففت لساني عما لا يعينني ، ولزمت الصمت ، أبر قسمي ، فسألوه عن سبب (٣) تهلل وجهه ، فقال : ما من عمل أوثق عندي من خصلتين : كنت لا أتكلم فيما لا يعينني ، قالوا : وما هو ؟ قال : الكف عما لا يعينني وروى أسد بن موسى ، وترك ما لا يعينني وروى أبو عبيدة ، عن الحسن قال : من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه . وقال سهل بن عبد الله التستري : من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدقأبوع نعيم في وقال معروف : كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل وهذا الحديث يدل على أن ترك ما لا يعنى المرء من حسن إسلامه ، وفعل ما يعنيه كله ، والظاهر أن كثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الإسلام ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال : « إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » فالمضاعفة للحسنة بعشر أمثالها لابد منه ، وإخلاص النية والحاجة إلى ذلك العمل وفضله ، وفي اليتامى والمساكين ، ويشهد لذلك ما روي عن عطية ، وخرج النسائي من حديث أبي سعيد ، كتبت الله له كل حسنة كان أزلفها ، ومحيبت عنه كل سيئة كان أزلفها ، ثم كان بعد ذلك القصاص ، الحسنة بعشر أمثالها إلى ، سبعمئة ضعف ،